المحاضرة رقم ٥: كيف نحلل صورة ثابتة

7. منهجية التحليل السميولوجي للصورة (الصورة الثابتة):

لتحليل الصورة تحليلاً سميولوجيا، نحتاج لمنهجية معينة نتبعها أثناء التحليل، وتتوفر العديد من المنهجيات لتحليل الرسالة البصرية الثابتة نذكر منها:

1. مقاربة رولان بارث: يعد "رولان بارث" أول من اهتم بالتحليل السميولوجي للصورة، وحاول تطبيق ثنائياته اللسانية في حقول أخرى اجتماعية وثقافية، متنوعة، كالموضة والإشهار.

وتتأسس السميولوجيا البارثية على مجموعة من الثنائيات اللسانية وهي: اللغة والكلام، الدال والمدلول، المركب والنظام، التقرير والإيحاء، هذه الأخيرة حاول تطبيقها في قراءة الصورة سميولوجيا.

تتناول هذه الثنائية الدلالة التقريرية التحديدية والدلالة الإيحائية التضمينية التي يتميز بها النص الأدبي في علاقته مع المتلقي، ويبدو أن فكرة هذه الثنائية قد اقتبسها رولان بارث من اللساني الدانمركي "لوي هيلمسليف" الذي نقل أفكار "دي سوسير" عن العلامة اللغوية إلى إطار أوسع، وذلك باستبدال مفهومي الدال والمدلول بمستويي التعبير والمضمون[1].

ومن خلال هذه الثنائية تقرأ وتحلل الصورة سميولوجيا حسب بارث عبر مستويين هما:

أ. **المستوى التعييني:** و "التعيين" هو جرد ما هو موجود ويسمى أيضا "بالمعنى التقريري"، فكل صورة لها قراءة أولية سطحية. وتتمثل هذه المرحلة في وصف كل ما هو موجود على الصورة (إطار، أيقونات، أشكال، ألوان، خلفيات، شخصيات، حركات... الخ) مجرد وصف دون التعمق في مدلولاتها، وفي هذا الإطار نطرح السؤال "ماذا"؟ أي ماذا يوجد في الصورة؟ وهذه القراءة التعيينية تساعدنا كثيرًا في فهم المعاني الأخرى العميقة. وهذا يقابل "الدال" اللساني لدى دي سوسير. فالتعيين أو

---

(1) وائل بركات، **السميولوجيا بقراءة رولان بارث**، مجلة جامعة دمشق، العدد الثاني، 2002، ص65.

المستوى التعييني (Dénote ou sens dénotatif) يشمل ذلك الموضوع أو المشهد الذي تمثله الصورة بشكل مباشر، أو الذي يمكن أن تقوم بتمثيله بطريقة حرفية.

وهذا المستوى الأول يمكن الإشارة إليه بالحالة الأدمية للصورة، وفي هذه الحالة تكون الرسالة غير مدونة أي تكتفي بتسجيل المرجع في المواضيع التي تمثلها (علاقة ترابطية)، وبالعودة إلى حالة إشهار "بانزاني" الذي حلله بارث بمقاربة سميولوجية، نلاحظ أن هذا المستوى يجسد ويقدم مدلوله من نفس الكيانات والأشكال المساعدة في الطبخ، والاستهلاك الموجودة في الحقيقة. فقد تسمح على سبيل المثال التجربة الميدانية والثقافية لحبة الطماطم في الصورة بالإدراك الفوري لحبة الطماطم أيقونيا فقط، أي التعرف على شكلها الطبيعي وفقط، وبعبارة أخرى ترتكز على التسجيل الموضوعي للعالم، كما أن الصورة التعيينية في هذه الحالة ستشكل "درجة الصفر" في الوضوح وفي المعنى، فهي تقوم على تجسيد عنصر التماثلية والوظيفة المرجعية: الاستشهادية والمشهدية المباشرة بأبعادها الحسية والإدراكية البعيدة عن المفهوم الدلالي العميق[٢].

ب. المستوى التضميني: وهو أعمق مستوى في قراءة الصورة، والتي تكون حسب قيم ودوافع المتلقي، إذ أن الوصول إلى المعنى الحقيقي العميق للصورة إنما يتم على مستوى المدلول أو الدلالة التضمينية، فالصورة في مستواها التضميني، تصبح نسيجا من العلامات التي تنبثق من قراءات متعددة، أو معاجم أو لغات مختلفة، وهنا نطرح السؤال لماذا؟ ويشمل هذا المستوى على عناصر أخرى، كالمدونة، و "عبقرية المعنى" والسياق الرمزي، وهذا يتم أساسا بإدخال المدلولات التضمينية الثانوية والثقافية على دلالات المستوى التعييني، والعودة إلى التصورات الفكرية والأبعاد البلاغية المتنوعة لفهمها، فقد أعطى بارث بعض الأمثلة عن إشهار بانزاني الذي درسه بشكل رمزي وبلاغي، وبهذا سيدل اختلاط الخضر كالطماطم والفلفل، بأبعادها التشكيلية المحكومة بالعرض اللّوني أي بحضور ثلاثية الألوان (الأصفر – الأخضر – الأحمر) على إيطالية ومرجعية الإشهار الإيطالي، إضافة إلى ذلك، فإن التركيب

---

(2) Jean Michel Adam, Marc Bonhomme, **l'argumentation publicitaire**, théorique de l'éloge et de persuasion, l'analyse des divers aspects du discours publicitaire, éd., Armand Colin, 2005, pp176-177.

الكلي لهذا التضمين السلالي، تشمل الحقل الإيديولوجي الواسع، أي له علاقة مع عناصر وقيم أخرى خارج عنصر التمثيل ويمتلك المعنى في المرجع الثقافي، لأن تركيب المدلولات في الصورة التضمينية يكون بالمرجعية الثقافية، والمعرفية، والقيمية، وليس في الطبيعة.

ج. المستوى الألسني: إلى جانب التعيين والتضمين، يضيف بارث رسالة أخرى والمتمثلة في الرسالة اللغوية (Message linguistique) يقتضي نشاطها ضمنيا الاهتمام بوظيفة الترسيخ والمناوبة. والوظيفة الترسيخية تشير إلى تحديد وتثبيت المعنى الصريح، وتوضيح رمزية الصورة وحصر كثافتها الإيحائية، مع تأكيد عناصرها. يتيح النص إمكانية ضبط المستوى الصحيح لإدراك الكل. أما الوظيفة الثانية، فتتمثل في الأشكال التعبيرية التكميلية والتي تتضمن حضور التنويعات اللّغوية الأخرى في النسق البصري. توفر معلومات عن تكاملها مع الصورة، وهذا ما يسمح بالنظر إلى دراسة "بارث" بنظرة عمودية لا تنحصر في مجال الصورة، والصورة الفوتوغرافية فحسب، بل إنها دراسة سميولوجية للّغة في حد ذاتها. ولاسيما أنه يستعير من بنيوية دي سوسير ثنائيات اللّغة والكلام ليطبقها على الموضة والأثاث والسيارات... فالعنصر الأول يشير إلى وجود مجموعة كافية من الدلائل تمتلك صفات الشمولية والعمومية، والرسالة الثانية تمتلك طابع تحليلي للرسالة الأولى، ويتم الوصول إلى الغاية من الصورة من لحظة إدراك العنصر الثاني (المدلول) بمعرفة البنية الحقيقية للرسالة.

ويهتم "المستوى الألسني" بصفة عامة بتحليل "النصوص"، أو العبارات المكتوبة التي ترافق الصورة، أي دراسة علاقة الجانب الألسني بالجانب الأيقوني (الصورة) من خلال وظيفتي الترسيخ والمناوبة[٣].

❖ **الترسيخ:** ذلك أن الصورة تتسم بالتعدد الدلالي أي تقدم للمتلقي عددًا كبيرًا من المدلولات لا ينتقي إلاّ بعضها ويهمل البعض الآخر، ومن ثمة فإن النص اللفظي يوجه إدراك المتلقي ويقود قراءته للصورة، بحيث لا يتجاوز حدودًا في التأويل.

---

(٣) إسماعيل زياد، طارق هابة، **المقاربة السميولوجية لرولان بارث في تحليل الصورة الإشهارية الإلكترونية**، مجلة الإعلام والمجتمع، العدد 01، الجزائر، 2018، ص10.

❖ **المناوبة** (الربط – التدعيم Relais): وتكون حين يقوم النص اللّغوي بإضافة دلالات جديدة للصورة بحيث أن مدلولاتها تتكامل وتتصهر في إطار واحد.